مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المجلد (٢)، العدد (١)، ص ص ٧٩-١١١ (يناير ٢٠٠٩م / محرم ١٤٣٠هـ .)

التوكل على الله في ضوء القرآن

سليمان بن حمد الصقري
الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه
كلية الشريعة وأصول الدين– جامعة القصيم

(قدم للنشر ١٤٢٩/١/٢١هـ .؛ وقبل للنشر ١٤٢٩/٤/١٥هـ .)

ملخص البحث. يتكون البحث من مقدمة بينت فيها أهمية الموضوع وأنه يعالج مشكلة تهدد حياة المجتمع وعزته، ويرتبط بالعقيدة الإسلامية.

وأسباب اختياري له وذكرتُ جملة من الأسباب من أهمها:

١- انتشار بعض المفاهيم الخاطئة عن التوكل.

٢- اعتناء القرآن الكريم به وذكره في أكثر من سبعين موضعاً.

وبينت منهجي في البحث مكونة من مقدمة بينت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياري له ومنهجي العلمي وخطة أسير عليها بينت فيها أنني قسمتُ بحثي إلى ثلاثة فصول وخاتمة وفهارس.

الفصل الأول: تحدثت عن حقيقة التوكل من خلال أربعة مباحث.

المبحث الأول: معنى التوكل لغة واصطلاحاً، وأن التوكل في اللغة مأخوذ من وكل أي اعتمد، واصطلاحاً هناك عدة تعاريف من أهمها: قول ابن رجب: هو صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة.

المبحث الثاني: بيان أصول التوكل وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فضيلة التوكل في القرآن والسنة.

المطلب الثاني: أصول التوكل وأنه يقوم على ثلاثة أصول وهي التوحيد، الاستغاثة، العبادة

المبحث الثالث: الفرق بين التوكل والتواكل وذكرتُ أن التواكل هو الاعتماد على المخلوق وبينتُ أن التوكل يزيد وينقص وذكرت عوامل ذلك.

حكم التوكل وأنه واجب، وحكم التواكل وأنه محرم.

الفصل الثاني: لوازم التوكل وفيه مبحثان:

الأول: الأخذ بالأسباب وأنه من مقومات التواكل ولوازمه وحكم الأخذ بها.

الثاني: التفويض وهو روح التوكل ولبه، والفرق بين التوكل والتفويض.

الفصل الثالث: منزلة المتوكلين وفيه ثلاثة مباحث:

الأول: اقتران التوكل بالقيم والمثل العليا مثل الإيمان، وأسماء الله الحسنى، والعبادة والتقوى، والصبر، والعزيمة، والعمل الصالح، والحكم والجهاد.

الثاني: آثار التوكل في الدنيا والآخرة.

في الدنيا على الفرد من إحياء قلبه وطمأنينته والقوة والعزيمة والشجاعة والتواضع والقدرة على الشيطان والرزق.

في الآخرة في الجنة بغير حساب.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد: فإن أعظم ما يبذله الإنسان ما كان في معرفة الله سبحانه ومعرفة ما أوصى به إلى رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - ، وإن أعظم العلوم وأفضلها، ما كان متصلاً بكتاب الله تعالى وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - .

وإن من شعب الإيمان، التي ينبغي للمسلم أن يتمسك بها، ويحافظ عليها بحيث تظهر في سلوكه " فضيلة التوكل على الله "، وذلك لما لها من الأهمية في حياة الفرد والمجتمع ولاهتمام القرآن الكريم بها، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (١).

وخاطب نبيه - صلى الله عليه وسلم - بقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ (٢)

وجاء في صفات المؤمنين أنهم على ربهم يتوكلون فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٣)

ولذلك كان من الأهمية، أن يعرف المؤمن حقيقة التوكل ومقوماته ومستلزماته ومنزلة أهل التوكل في الدنيا والآخرة، وأن الأنبياء والمرسلين هم القدوة الحسنة في هذه الفضيلة السامية.

ويزيد في الأهمية لهذا البحث أنه كشف الشبهات والآراء الخاطئة حول هذه القضية والتي كانت سبباً في انحراف بعض الناس عن حقيقة هذا المقام المحمود واعتقدوا أن التوكل هو ترك الأسباب، وظنوا بصنيعهم هذا أنهم في غاية التوكل، وهم في الحقيقة في غاية التواكل.

وهناك على النقيض تماماً من أولئك، وآخرون اعتقدوا أن بذل الأسباب وحده كاف لقضاء حوائجهم.

وهكذا ضاعت هذه الفضيلة السامية بين الإفراط والتفريط مما أوجب إبراز هذه الفضيلة في بحث مستقل لتعم الفائدة الناس جميعاً.

فكان هذا الجهد المتواضع حسب قدرتي وإمكاناتي متوخياً فيه الصواب، فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

---

(١) آل عمران: ١٦٠.

(٢) الفرقان: ٥٨.

(٣) الأنفال: ٢.

أسباب اختيار البحث

١- انتشار بعض المفاهيم الخاطئة عن موضوع " التوكل " عند بعض الناس.

٢- اعتناء القرآن الكريم بهذا الموضوع ، مما يدل على أهميته حيث إنه ذكر في كثير من السور القرآنية حتى بلغت الآيات التي تتحدث عنه حوالي سبعين آية.

٣- ارتباط قضية التوكل بإيمان الإنسان مباشرة.

٤- تزويد المكتبة الإسلامية بهذا اللون من الدراسة القرآنية المتخصصة في التفسير الموضوعي.

أهمية هذا البحث

١- قيمته العلمية حيث إن المادة العلمية جُمعت واستُنبطت من مصادر ومراجع أساسية وهامة سواء في التفسير أو الحديث أو كتب اللغة.

٢- حيوية هذا البحث واحتياج الناس إليه ، إذ يعالج مشكلة تهدد حياة المجتمع وعزته وكرامته ، إن هم ابتعدوا عن التوكل على الله.

٣- ارتباط موضوع " التوكل " بالعقيدة الإسلامية ارتباطاً مباشراً.

٤- مناقشته لبعض الشبهات والآراء الخاطئة التي أُلصقت "بالتوكل" والرد عليها بالأدلة الشرعية والبراهين العلمية.

منهج البحث

١- جمعت الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع " التوكل " على الله وصنفتها حسب موضوعاتها وموقعها في فصول البحث.

٢- جعلت الآيات القرآنية بين أقواس وأشرت في الحاشية إلى اسم السورة ورقم الآية.

٣- نقلت أقوال المفسرين حول الآيات.

٤- المسائل المختلف فيها كنت أذكر أقوال العلماء المختلفة وأدلتهم ثم أرجح حسب ما ظهر لي ، مع ذكر الأدلة من الكتاب والسنة ومناقشة أدلة الآراء الأخرى.

٥- استعنت بالأحاديث الشريفة ، مع تخريج الأحاديث والإشارة في الحاشية إلى مواطن وجود الحديث.

٦- قمت بترجمة بعض الاعلام ممن ليس لهم شهرة.

خطة البحث

قمت بتقسيم بحثي هذا إلى مقدمة ، وثلاثة فصول رئيسية ، وخاتمة ، وفهارس.

الفصل الأول

حقيقة التوكل ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معنى التوكل لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني : بيان التوكل ، وأصوله ، وأنواعه ، ومكانته. وفيه مطلبان :

المطلب الأول : بيان فضيلة التوكل في القرآن والسنة.

المطلب الثاني : بيان أصول التوكل وأنواعه.

المبحث الثالث : التواكل والتوكل.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الفرق بين التوكل والتواكل.

المطلب الثاني : التوكل يزيد وينقص

المطلب الثالث : حكم التوكل والتواكل.

الفصل الثاني

مقومات التوكل ، ويتكون من مبحثين :

المبحث الأول : الأخذ بالأسباب.

المبحث الثاني : " التفويض " وفيه ثلاث نقاط هامة.

الفصل الثالث : منزلة التوكل والمتوكلين ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اقتران التوكل بالقيم الروحية والمثل العليا.

المبحث الثاني : ومكانة المتوكلين بين أهل الإيمان وصفاتهم التي امتازوا بها.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مكانة المتوكلين بين أهل الإيمان.

المطلب الثاني : صفات المتوكلين.

المبحث الثالث : الآثار الحميدة لفضيلة التوكل في الدنيا والآخرة. وفيه مطلبان :

المطلب الأول : آثار التوكل في الدنيا.

المطلب الثاني : آثار التوكل في الآخرة.

وأخيراً خاتمة للبحث تتحدث عن أهم النتائج التي توصلت إليها وفيها ، نتائج عامة ، ونتائج خاصة.

واستكمالاً للبحث وإتماماً للفائدة أتبعت الخاتمة بفهرس المصادر والمراجع.

الفصل الأول: حقيقة التوكل

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : معنى التوكل لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني : بيان فضيلة التوكل وأصولها وأهميتها.

المبحث الثالث: التوكل والتواكل.

المبحث الأول: التوكل في اللغة والاصطلاح

أولاً: في اللغة

التوكل مشتق من الفعل (وَكَلَ) أصل صحيح يدل على اعتماد غيركَ في أمرك (٤).

و " وَكَلَ بالله " و " يَكِلُ " و " وَكلاً " بمعنى استسلم إليه.

و " الوكيل اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، وهو المقيم الكفيل بأرزاق العباد (٥).

وقال الفراء: " الوكيل " الكافي.

وقال ابن قتيبة: هو الكفيل، ووكيل الرجل في ماله هو الذي كَفِلَهُ له وقام به (٦).

وجاء في اللسان (٧) أيضاً أن " الوكيل " بمعنى الكفيل وهي على وزن فعيل بمعنى مفعول.

وقال ابن الأنباري الوكيل: بمعنى الحافظ.

وأيد ذلك الزجاج (٨).

و"الوكيل" تعني الجريء الذي يقوم بما وكِّل به على أحسن وجه دون مراخاة أو تهاون في الأمر المُوْكَل إليه(٩).

و " للوكيل" إطلاقات ودلائل عدة في القرآن الكريم، ذكر ذلك المفسرون من عدة أوجه:

١- تطلق كلمة " الوكيل " ويراد بها الحفيظ (١٠) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾(١١).

٢- تطلق أيضاً ويراد بها الرب (١٢): حيث حكى ذلك ابن الأنباري: في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ﴾(١٣).

---

(٤) معجم مقاييس اللغة ١٣٦/٦.

(٥) لسان العرب ٧٣٤/١١.

(٦) زاد المسير ٥٠٥/١.

(٧) انظر: لسان العرب ٧٣٤/١١.

(٨) زاد المسير ٦١/٣.

(٩) لسان العرب ٧٣٤/١١.

(١٠) انظر: تفسير الكشاف ٢٨٤/١.

(١١) النساء: ١٠٩.

(١٢) انظر: تفسير زاد المسير ٥٠٥/١.

(١٣) الإسراء: ٢.

٣- المسيطر: في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ (١٤).

٤- الشهيد (١٥): قوله تعالى حكاية على لسان يعقوب - عليه السلام - : ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ (١٦).

٥- الناصر (١٧): أي ناصرٌ له ومعين.

٦- الرقيب (١٨): وهو المطلع على جميع الأمور.قال تعالى: ﴿قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾ (١٩)

٧- المانع: كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا﴾ (٢٠)، أي مانعاً كما قال صاحب الكشاف (٢١).

ثانياً: معنى التوكل في الاصطلاح

قال الإمام أحمد في حقيقة التوكل: " التوكل عمل القلب ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ولا هو من باب العلوم والإدراكات " (٢٢).

وعرفه الحسن البصري فقال: "التوكل على الله هو الرضا بفعل الله سبحانه وتعالى" (٢٣).

وعرّفه البيهقي فقال: " التوكل هو طمأنينة القلب وسكونه إلى موعود الله تعالى (٢٤).

وقال ابن رجب: " هو صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها " (٢٥).

وقال ابن حجر: ": هو قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب " (٢٦).

---

(١٤) الأنعام: ١٠٧.

(١٥) مختصر من تفسير الطبري ٣١٣/١.

(١٦) يوسف: ٦٦.

(١٧) انظر: تفسير الطبري ٢٥٠/٧ تحقيق د. عبد الله التركي، ط ١ القاهرة ١٤٢٢هـ ..

(١٨) انظر: فتح القدير ١٢٨/٢.

(١٩) الأنعام: ٦٦.

(٢٠) الإسراء: ٦٥.

(٢١) الكشاف ٢٨٤/١.

(٢٢) مدارج السالكين ١١٤/٢.

(٢٣) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٢٥٤/١.

(٢٤) الأربعون الصغرى، تحقيق المراغى ص١٨٣.

(٢٥) جامع العلوم والحكم ص٤٠٩.

(٢٦) فتح الباري ٤٤٩/٣.

ولخص ابن القيم حقيقة التوكل فقال: " التوكل هو اعتماد القلب على الله وحده فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: توكلت على الله، مع اعتماده على غير الله وركونه إليه وثقته به "(٢٧).

وقال الألوسي(٢٨): " التوكل " هو إظهار العجز والاعتماد على الغير والاكتفاء به في فعل ما يحتاج إليه وهو لا يكون إلا على الله سبحانه ولا ينافي الأخذ بالأسباب بل يكون بمراعاتها مع تفويض الأمر إلى الله في كل أمر"(٢٩).

المبحث الثاني: بيان فضيلة التوكل وأصولها وأهميتها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان فضيلة التوكل في القرآن والسنة.

المطلب الثاني: بيان أصول التوكل وأنواعه.

المطلب الأول: بيان فضيلة التوكل في القرآن والسنة

أ) في القرآن الكريم

لقد اعتنى القرآن الكريم بـ" فضيلة التوكل " اعتناءً كبيراً ؛ لأنها من أهم الأمور والقضايا في القرآن الكريم، حيث جاءت الآيات مقسمة كالتالي:

١- آيات تأمر النبي ﷺ بالتزام التوكل.
٢- آيات تتحدث على لسان الأنبياء السابقين والتزامهم بفضيلة التوكل على الله.
٣- آيات تُبيّن أن التوكل من شأن المؤمنين.
٤- آيات توضح أن الله يحقق أمل المتوكلين.
٥- آيات تُبيِّن أن الله وحده هو أهل التوكل وأنه سبحانه حسب من يتوكل عليه وأنه يحب المتوكلين ولا يُخَيِّب رجاءهم.

أولاً: الآيات التي جاء فيها الأمر للنبي ﷺ بالتزام هذه الفضيلة:

١- ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾(٣٠).

---

(٢٧) كتاب الفوائد، لابن قيم الجوزية ص١١٣.

(٢٨) الألوسي: هو محمود شكري بن عبدا لله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني أبو المعالي: وهو مؤرخ وعالم في الدين والأدب ومن الدعاة إلى الإصلاح في المجتمع، ترك مصنفات كثيرة منها " روح المعاني " وهو تفسير كبير يحتوي على علوم كثيرة وفيه نزعة صوفية، ولد في رصافة ببغداد ١٢٧٣هـ .، وتوفي فيها ١٣٤٢هـ ..

انظر: الأعلام للزركلي ١٧٢/٧، ١٧٣.

(٢٩) تفسير روح المعاني ، مجلد: ٢، ص١٠٧.

(٣٠) النساء: ٨١.

٢- وأمره الحق تبارك وتعالى أن يعبد الله ويتوكل عليه.

قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾(٣١).

ثانياً: آيات تتحدث عن الأنبياء السابقين والتزامهم بفضيلة التوكل أثناء دعوتهم إلى الله وحث أقوامهم على التخلق بهذه الفضيلة:

قال تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾(٣٢).

ولقد تحدث القرآن عن توكل إبراهيم ﵇ والذين كانوا معه في طريق الهدى فقال تعالى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾(٣٣)

وأيضاً شعيب ﵇.

قال تعالى حكاية على لسان شعيب ﵇: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾(٣٤).

وأيضاً يعقوب ﵇.

قال تعالى حكاية على لسان يعقوب ﵇: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾(٣٥).

وكذلك نوح ﵇.

قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾(٣٦).

ثالثاً: آيات تُبيِّين أن التوكل من شأن المؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾(٣٧).

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾(٣٨).

---

(٣١) هود: ١٢٣.

(٣٢) إبراهيم: ١٢.

(٣٣) الممتحنة: ٤.

(٣٤) هود: ٨٨.

(٣٥) يوسف: ٦٧.

(٣٦) يونس: ٧١.

(٣٧) آل عمران: ١٢٢، ١٦٠، المائدة: ١١، التوبة: ٥١، التغابن: ١٣، المجادلة: ١٠.

(٣٨) المائدة: ٢٣.

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٣٩).

رابعاً: آيات توضح أن الله سبحانه يحقق الخير الوفير لمن توكل عليه. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾(٤٠).

أن الله يحفظ المتوكلين من الشيطان وأنه ليس للشيطان عليهم من سبيل.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٤١)

وأن الله يحب المتوكلين.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾(٤٢).

ب) في السنة المطهرة

وردت فضيلة التوكل في أحاديث نبوية شريفة.

حيث ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا) (٤٣).

وبَيَّنَ ﷺ أن من صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب "التوكل على الله".

قال: قال رسول الله ﷺ: (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) (٤٤).

وكان ﷺ يذكر هذه الفضيلة في دعائه كثيراً.

حيث جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: (اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت) (٤٥).

---

(٣٩) الأنفال: ٢.

(٤٠) الطلاق: ٣.

(٤١) النحل: ٩٩.

(٤٢) آل عمران: ١٥٩.

(٤٣) أخرجه الترمذي في كتابه السنن، ج: ٩، الزهد، باب: ٣٣، ص٢٠٧، والإمام أحمد في المسند ٥٢/١، وابن ماجة، ك: الزهد، باب: ١٤، حديث رقم (٤١٦٤).

(٤٤) أخرجه البخاري، في كتاب الرقاب باب ومن بتوكل على الله فهو حسبه، صحيحة ١٨٣/٧، ١٩٢، ١٦، ومسلم في كتاب الإيمان باب ٩٤، الدليل على دخول طرائف من المسلمين الجنة بغير حساب حديث (٣٧١) صحيحة ١٩٨/١.

(٤٥) البخاري في التهجد، باب: التهجد من الليل حديث رقم (١١٢٠). انظر الفتح ٥/٣، ومسلم، ك: الذكر والدعاء، باب: ١٨، حديث (٦٧)، وأحمد ٣٠٢/١.

المطلب الثاني: بيان أصول التوكل وأنواعه

بيان أصول التوكل: التوكل على الله يقوم على ثلاثة أصول وهي:

أولاً: التوحيد: لأن التوكل جاء مرتبطاً بإفرادِه - سبحانه - في الألوهية والربوبية، حيث اتضح ذلك في القرآن الكريم في مواطن عدة منها:

١- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾(٤٦).

٢- قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٤٧).

الخطاب هنا لرسول الله ﷺ وهو عام لجميع المسلمين (٤٨).

إن هاتين الآيتين من الآيات تعني إخلاص التوحيد لله والصدق في العمل ثم التوكل عليه في تحقيق النتائج ؛ لأنه صاحب الألوهية والربوبية المتفرد بهما، وهو على كل شيء قدير (٤٩).

ولقد وضح الشيخ رشيد رضا أن: " التوكل على الله تعالى، أعلى مقامات التوحيد، الذي أقام به أمور العالم " (٥٠).

ثانياً: الاستعانة: ومن آيات الإيمان الكامل بالتوكل على الله الاستغاثة والاستعانة بالله وحده ولا سيما في الشدائد كما فعل جمهور المؤمنين مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بدر وذكرّهم بما مَنّ عليهم من الاستجابة لهم.

قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾(٥١)

ولقد أرشد الله عباده المؤمنين إلى الاستعانة به دون من سواه في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥٢).

ثالثاً: العبادة: التوكل هو ثمرة التوحيد الخالص لله سبحانه واختصاصه بالعبادة دون غيره، كما تدل عليه الآيات الكريمة.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٥٣).

---

(٤٦) الأنعام: ١٠٢.

(٤٧) التوبة: ١٢٩.

(٤٨) انظر: فتح القدير، مجلد ٢، ص٤١٦، تفسير التحرير والتنوير ١١/٧٤٠،

(٤٩) انظر: تفسير المراغى، مجلد: ١٠، ج: ٢٨، ص١٢٧.

(٥٠) تفسير المنار، مجلد: ١٠، ص١٥١.

(٥١) الأنفال: ٩.

(٥٢) الفاتحة: ٥.

(٥٣) هود: ١٢٣.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾(٥٤).

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(٥٥).

ففي الآية الأولى جاءت لترتيب الأمر بالعبادة والتوكل، وفي تأخير الأمر بالتوكل عن الأمر بالعبادة تنبيه على أن التوكل لا ينفع دون الإتيان بالعبادات " (٥٦).

وبهذا البيان تعلم أنه لا منافاة بين التوحيد والتوكل وبين الأخذ بالأسباب.. بل الكمال والأدب في الجمع بينهما (٥٧).

المبحث الثالث: التوكل والتواكل

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفرق بين التوكل والتواكل.

المطلب الثاني: زيادة التوكل ونقصانه.

المطلب الثالث: حكم التوكل والتواكل.

المطلب الأول: الفرق بين التوكل والتواكل

" التوكل والتواكل كلمتان متشابهتان في اللفظ، لكنهما متفاوتتان في المعنى متناقضتان في القصد والسلوك مختلفتان في الشرع والعقل.

ويتضح لك هذا الاختلاف والبعد الشاسع بينهما في المعنى من خلال تعريف كل منهما.

فالتوكل يكون بالقيام بالأحكام الشرعية، والأخذ بالأسباب التي أحلها الله بعد اللجوء إلى الله والاعتماد عليه، وبدون الأخذ بالأسباب تكون دعوى التوكل جهلاً بالشرع وفساداً في العقل.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾(٥٨).

وقال تعالى: ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾(٥٩).

---

(٥٤) الرعد: ٣٠.

(٥٥) الشورى: ١٠.

(٥٦) تفسير روح المعاني للألوسي، مجلد: ٤، ج ١٢، ١٦٧.

(٥٧) تفسير المنار، مجلد: ١، ص ٦١.

(٥٨) آل عمران: ١٥٩.

(٥٩) الملك: ١٥.

أما التواكل: " فكلمته مستنبطة من تواكل القوم إذا اتكل بعضهم على بعض في فعل أمر معين، والواكل البليد الجبان العاجز الذي يكل أمره إلى غيره (٦٠).

وبذلك يكون التواكل: هو الاعتماد على المخلوقين بالتخلي عن الأسباب وانتظار النتائج منهم مع الانقطاع عن السعي اعتماداً على أن الله تكفل برزق المخلوقات.

والذي يترك الأسباب التي أمر الله بها استغناءً بالتوكل عنها، فهذا عين العجز والتواكل والتفريط، معتمداً على أن الرزق يطلب صاحبه كما يطلبه أجله فهذا فهم خاطئ وعجز وتفريط " (٦١).

وبذلك التعريف الواضح البين لكل من التوكل والتواكل يتضح الفارق بينهما في الآتي(٦٢):

١- أن التوكل صفة محمودة وباب من أبواب الإيمان الصحيح، وأما التواكل فهو صفة مذمومة ومن أعمال الشيطان.

٢- التوكل أمر به القرآن الكريم في العديد من الآيات والتواكل يحاربه الإسلام وينهى عنه.

٣- التوكل من سمات الأنبياء وعباد الله المؤمنين، والتواكل من شعار الكسالى ووصف لجند إبليس اللعين.

٤- التوكل دواء وشفاء، والتواكل، مرض وعجز وقعود.

٥- التوكل وسيلة للرقى، وإعمار للدنيا بجد ونشاط وسعي متواصل.أما التواكل فهو سبب التخلف والانحطاط، وإهمال للعقل والفكر.

المطلب الثاني: زيادة التوكل ونقصانه

أن التوكل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان، وكما أن الإيمان يزيد وينقص، فإن التوكل يزيد بفعل الطاعات وينقص بارتكاب الآثام أيضاً.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٦٣).

فالآية نص قاطع على زيادة الإيمان بالطاعات وفعل العبادات والتوكل على الله من أعظم وأجمع أنواع العبادات، لذلك فهو شرط من شروط تحقيق الإيمان.

---

(٦٠) انظر: المعجم الوسيط، ج٢، ص١٠٥٥.

(٦١) انظر: مدارج السالكين ٣٠٨/٣، وأيضاً كتاب الروح ص٣٤٣، ٣٤٤.

(٦٢) انظر: منار الإسلام ص٢٠.

(٦٣) الأنفال: ٢.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴾ (٦٤).

حيث جاء في التفسير: " كأنه يقول للمسلم حال إسلامه: إن كنت من المؤمنين بالله فعليه توكل في جميع أمورك، وكلما كان قوياً بإيمانه كان نور التوكل أسطع في القلب وأعظم نوراً " (٦٥).

وجعل ابن القيم التوكل على الله شرطاً في الإيمان، فدلَّ على انتفاء الإيمان عند انتفائه (٦٦).

وبرهن المحاسبي (٦٧) فقال: " التوكل محض الإيمان، والتوكل يزيد وينقص بفعل الطاعات كما أن الإيمان يزيد وينقص، والناس يتفاضلون في التوكل على قدر اليقين " (٦٨).

من خلال ذلك العرض المقتضب تبين أن التوكل يزيد وينقص وهناك عوامل لزيادة التوكل ونقصانه نوضحها في الآتي:

أولاً: عوامل زيادة التوكل:

١- معرفة الله وأسمائه وصفاته (٦٩).

٢- فعل الطاعات. إن ازدياد فعل الطاعات من العبد لخالقه يزيده تقرباً من الله، وكلما كان العبد قريباً من الله، كان توكله أقوى إلى أن يحبه الله بفعل الطاعات قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٧٠).

٣- الكسب الحلال والبعد عن المحرمات (٧١).

ثانياً: عوامل نقص التوكل: ذكر أبو طَالب المكي (٧٢) في كتابه "قوت القلوب" (٧٣) العوامل التي تنقص التوكل نلخصها في الآتي:

---

(٦٤) يونس: ٨٤.

(٦٥) انظر: تفسير التحرير والتنوير ١٦٩/٤.

(٦٦) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٤٠٨/٢.

(٦٧) المحاسبي: هو أبو عبدالله الحارث بن أسد المُحاسبي، شيخ الصوفية له باع في علم الأصول والمعاملات، بصري الأصل وأستاذ أكثر البغداديين في عصره، سمي بالمحاسبي لكثرة حسابه لنفسه، له كتاب " الرعاية لحقوق الله "، ت ببغداد سنة ٢٤٣هـ ..
انظر: طبقات الصوفية ص٥٦، وحلية الأولياء ٧٣/١٠-١٠٩، سير أعلام النبلاء ١١٠/١٢.

(٦٨) انظر: أدب النفوس للمحاسبي ص١٩٨.

(٦٩) مدارج السالكين ١٢٥/٢.

(٧٠) آل عمران: ١٥٩.

(٧١) كتاب الرزق الحلال وحقيقة التوكل /٤٨.

(٧٢) أبو طالب المكي: هو محمد بن علي بن عطية المكي شيخ الإسلام وقدوة الأولياء، كان زاهداً وكان في البداية صاحب رياضة ومجاهدة وفي النهاية أصبح من أصحاب الأسرار والمشاهدة، ت سنة ٣٨٦هـ . في جمادى الآخرة وكان صالحاً مجتهداً – رحمه الله –.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥٣٦/١٦.

(٧٣) / ص٣٤.

١- اكتساب الشبهات وارتكاب المحرمات.

٢- التسخط للقدر وعدم التسليم بقضاء الله وقدره، إذا لم يؤته بما يفرح ويرضى.

٣- ارتكاب الذنوب والآثام واتباع الشيطان.

٤- أن يكون متوكلاً على صحة جسمه ودوام عافيته.

فبهذه العوامل مجتمعة يزيد توكل الإنسان وينقص بحسب ابتعاده وقربه منها.

المطلب الثالث: حكم التوكل والتواكل

حكم التوكل: جاء في وجوب التوكل على الله وفرضه آيات كثيرة في سور متعددة من القرآن الكريم منها:

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(٧٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٧٥).

وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(٧٦).

قال بعض المفسرين: " ولما كان لا كافي إلا الله ولا قادر على كل شيء سواه ولا عالم بشيء غيره كان التوكل عليه سبحانه واجباً والتوكل على غيره باطلاً وشركاً " (٧٧).

ومما يوجب التوكل على الله قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾(٧٨).

"وحاصله إن كنتم آمنتم بالله فيجب عليكم التوكل عليه سبحانه فافعلوه واتصفوا به إن كنتم مستسلمين له تعالى ... فعلق التوكل بالتصديق بعد تعليقه بالاسلام، لأن الجزاء معلق بالشرط.." (٧٩).

وأكد الله سبحانه وجوب التوكل عليه بقوله تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(٨٠).

وفي الآية تشريف للمؤمنين لإيجاب التوكل عليهم .

---

(٧٤) آل عمران: ١٢٢، ١٦٠، المائدة: ١١، التوبة: ٥١، إبراهيم: ١١، المجادلة: ١٠.

(٧٥) المائدة: ٢٣.

(٧٦) إبراهيم: ١٢.

(٧٧) انظر: تفسير الفخر الرازي، مجلد: ٨، ص٨٩، وأيضاً انظر عقيدة المؤمن ص١١٨.

(٧٨) يونس: ٨٤.

(٧٩) انظر: تفسير روح المعاني١١ / ١٧٠.

(٨٠) آل عمران: ١٦٠.

حكم التواكل: التواكل: كما علمنا هو تعطيل الأخذ بالأسباب والعجز والقعود وشل لحركة الفرد والمجتمع، أملاً في أن تمطر السماء ذهباً وفضة.

وهذا العجز والكسل منافٍ للعقل والشرع.

حيث قال رسول الله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من الكسل، والعجز، والبخل)(٨١).

ولقد نهى رسول الله ﷺ عن مثل هذا العجز الذي هو التواكل ؛ لأنه منافٍ للشرع ولممارسته ﷺ لجميع الأسباب الظاهرة التي أحلها الله، سواء في بيته أو في غزواته أو دعوته إلى الله.

فسيرة رسول الله ﷺ العملية تشجب أقوال المتواكلين وتدحض حججهم الباطلة.

قال ﷺ: (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني)(٨٢).

وأمر ﷺ بالتزام طريق التوكل الصحيح بما فيه دحض للتواكل والمتواكلين حيث روي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قالوا: ألا نتكل ؟ قال: " اعملوا فكل ميسر فأما من أعطى واتقى، الآية "(٨٣).

خلاصة القول في حكم التواكل: " أنه حرام وليس من الدين ؛ لأنه مخالف لنصوص القرآن والسنة والإجماع، ويؤدي إلى الفوضى، وسوء التدبير، وعدم العدالة "(٨٤).

الفصل الثاني: مقومات التوكل

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأخذ بالأسباب.

المبحث الثاني: التفويض.

المبحث الأول: الأخذ بالأسباب

هذا المبحث يعتبر ركناً أساسياً في مقومات التوكل على الله ولوازمه.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(٨٥).

---

(٨١) سنن الترمذي، ك: الدعاء، ص ٧٨.

(٨٢) أخرجه الترمذي، ج: ٤، ك: صفة القيامة، باب: ٢٥ حديث (٢٤٥٩) وابن ماجه، ج: ٢، ك: الزهد، ص ١٤٢٣ رقم (٤٢٦٠).

(٨٣) صحيح البخاري، ك: التوحيد، باب: ٥٤، ٨/ ٢١٥، ومسلم في القدر حديث رقم (٢٦٤٧)٤/٢٠٤٠.

(٨٤) منار الإسلام ص ٢٦.

(٨٥) آل عمران: ١٥٩.

ويتكون هذا المبحث من نقاط رئيسية وهي كالآتي :

أولاً: التوكل والأخذ بالأسباب.

ثانياً: نظرة الناس إلى الأسباب.

ثالثاً: حكم الأخذ بالأسباب.

أولاً: التوكل والأخذ بالأسباب

التوكل هو الأخذ بالأسباب كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٨٦).

دلت الآية على أنه ليس التوكل أن يهمل الإنسان نفسه وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافياً للأمر بالتوكل ، بل التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة (٨٧) التي شرعها الله للإنسان ليصل إلى المطلوب

إن الله سبحانه وتعالى أمر باتخاذ الأسباب ، دون الاعتماد عليها في الكثير من الآيات القرآنية.

وأمر بإعداد العدة عند ملاقاة الأعداء ، لكي نرهبهم ونكسر شوكتهم.

كما أمر الله سبحانه وتعالى مريم - عليها السلام - .

فقال تعالى : ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ (٨٨).

وحينما ندرس سيرة الأنبياء من خلال الآيات القرآنية نجدهم جميعاً أخذوا بالأسباب وهم أئمة المتوكلين على الله.

فنوح عليه السلام صنع بيده السفينة له ولقومه ، فأنجاهم الله بها.

وداود عليه السلام صنع الدروع لاستعمالها في طرد الأعداء.

ورسول الله ﷺ أمر باتخاذ الأسباب فقال ﷺ : (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز) (٨٩). وعمل بها في حياته كثيراً ، وقد هدى الله به العالمين ، وعصمه ، وهو سيد المتوكلين ومع ذلك كان يأخذ بالأسباب في حياته ، لتكون دليلاً ساطعاً وحجة بالغة للناس أجمعين (٩٠).

---

(٨٦) آل عمران: ١٥٩.

(٨٧) انظر: تفسير الفخر الرازي ٩ / ٦٩.

(٨٨) مريم: ٢٥.

(٨٩) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز، حديث رقم (٢٦٦٤) ٢٠٥٢/٤ .

(٩٠) انظر: مدارج السالكين ١٣٤/٢، ١٣٥.

ثانياً: نظرة الناس إلى الأسباب

انقسم الناس في نظرتهم إلى الأسباب والأخذ بها إلى درجات ومراتب، فمنهم من أخطأ في تصوره وقعد عن الأخذ بالأسباب، ومنهم من غالى في الأسباب حتى تعلق قلبه بها فخرج عن حقيقة التوكل، ومنهم من فهم حقيقة التصور الإيماني في الأخذ بالأسباب، فعمل وسعى متوكلاً عليه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(٩١) وهم كالآتي:

١- المتوكلون.

٢- المتواكلون.

ثالثاً: حكم الأخذ بالأسباب

إن الحكم على القيام بالأسباب أو تركها يتوقف على نوعية الأسباب حيث إنها تنقسم إلى أربعة أنواع، وإليك هذه الأنواع والحكم على كل منها وهي كالآتي

١- الأسباب المقطوع بها: وهي تتمثل في الأسباب التي تدفع الضرر سواء عن الفرد أو الجماعة، فإنها لا يجوز تركها، كما لا يجوز النوم والعدو يسعى فساداً في الأرض، فكل ذلك منهي عنه، ومن تركها باسم أنه متوكل فعليه إثم ويحاسب على تقصيره في مثل هذه الأسباب التي هي من طاعة الله، فمن قصر فيها فهو كمن قصر في طاعة ربه ويحاسب ومن أداها على أكمل وجهها فله الأجر الأوفى عند الله تبارك وتعالى (٩٢).

٢- الأسباب المباحة: ننظر إلى السبب الذي فيه الإباحة، إن كان القيام به يضعف التوكل على الله يكون تركه أولى، وإن لم يضعف القلب فتكون مباشرته من باب أولى والله أعلم.

٣- الأسباب المظنونة: وهي كالفصد والحجامة والذهاب إلى الطبيب، فتركها لا يناقض التوكل عند بعض العلماء، ولكن الذي نصره الأغلبية من العلماء هو الذي نؤيده في الأسباب المظنونة، أن التداوي أفضل وأن الأدوية أسباب مسخرة بإذن الله تعالى.

حيث روى أسامة بن شريك قال: (قالت الأعراب: يا رسول الله ألا نتداوى؟ قال: نعم يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو قال دواءً إلا داءاً واحداً، قالوا: يا رسول الله وما هو؟ قال: الهرم) (٩٣).

٤- الأسباب الموهومة: وهي تتمثل في الكي وغيره، قال البعض إنه يخرج من التوكل؛ لأن النبي ﷺ وصف المتوكلين بأنهم لا يكتوون، وقال: قال رسول الله ﷺ: (من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل) (٩٤).

---

(٩١) الطلاق: ٣.

(٩٢) انظر: مختصر منهاج القاصدين ص٣١٩.

(٩٣) أخرجه الترمذي في: ج: ٨، ك: الطب، باب: ٢، ص١٩٢.

(٩٤) أخرجه الترمذي في: ج٨، ك: الطب، باب: ١٤، ص٢١٢، وأيضاً هو في مسند الإمام أحمد، مجلد: ٤، ص٢٥٣.

وقد حمل بعض العلماء قوله : "لا يكتوون" على الفعل الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية ، وعليه فالنهي في الحديث يكون عن الفعل في الجاهلية ، ولأن النبي ﷺ كان يرقي الرقية بآيات من القرآن بعد نزول المرض وقد كوى أسعد بن زراره (٩٥).

المبحث الثاني: التفويض

أولاً: معنى التفويض

لقد عرف الإمام الغزالي (٩٦) التفويض فقال : " التفويض هو إرادة أن يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تأمن فيه الخطر " (٩٧).

وقال ابن القيم : " التفويض هو روح التوكل ولبه وحقيقته وهو إلقاء الأمور كلها إلى الله وإنزالها به طلباً واختياراً " (٩٨).

قال تعالى : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(٩٩).

ولقد ذكر التفويض في كتاب الله الكريم في موضع واحد.

قال تعالى : ﴿ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾(١٠٠).

فالآية الكريمة تذكر بأن مؤمن آل فرعون هُدد من قبل قومه بالقتل ، ففوض أمره إلى الله ؛ لأنه على الحق المبين ، وخوفهم بقوله (فستذكرون ما أقول لكم) حيث تحداهم بأنهم إن أعرضوا عن أمره فسيندمون حين يرون العذاب الأليم إما في الدنيا ، وإما في الآخرة.

ثم لجأ في دفع كيدهم ومكرهم وتخويفهم إلى فضل الله بتفويض أمره إليه.

ثم علل تفويضه الأمر إلى الله بأن الله عليم بأحوال الناس بصير بالعباد (١٠١).

---

(٩٥) انظر: مختصر منهاج القاصدين ص٣٢٠.

(٩٦) الغزالي: هو حجة الإسلام الإمام أبو حامد، محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، ولد بقرية غزالة من قرى طوس بخراسان سنة (٤٥٠هـ -١٠٥٨م)، توفي يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٠٥هـ ..

انظر: شذرات الذهب ٤/١٠-١٤، وفيات الأعيان ٢/٢٤٦-٢٤٧.

(٩٧) منهاج العابدين ص١٠٢.

(٩٨) مدارج السالكين ٢/١٢٢.

(٩٩) البقرة: ١٦٦.

(١٠٠) غافر: ٤٤.

(١٠١) انظر: تفسير الفخر الرازي، مجلد: ١٤، ج: ٢٧، ص٧٢، وأيضاً انظر تفسير التحرير والتنوير ٢٤/١٥٦.

ثانياً: التفويض والتوكل

لقد ذُكِرَ التفويضُ في كتاب الله بقوله تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾(١٠٢).

وذكر في الحديث في مواضع قليلة منها:

أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم إني أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك)(١٠٣).

ورغم ذلك فإن بعض العلماء قال إن التفويض أشمل من التوكل ؛ لأنه ألطف إشارة وأوسع معنى من التوكل، لأن التوكل يأتي بعد وقوع السبب، أما التفويض فإنه قبل وقوعه وبعده وهو عين الاستسلام لله والتوكل شعبة من شعب التفويض، والمفوض يتبرأ بالكامل من الحول والقوة ويفوض الأمور إلى الله وعليه يكون التفويض أعظم من التوكل.

والبعض الآخر من العلماء، قال إن التوكل فوق التفويض، وهو الراجح ؛ لأن القرآن مملوءً بالأمر بالتوكل، وأخبرنا عن رسل الله وأوليائه وصفوة المؤمنين بأن حالهم التوكل.

والتوكل قد يكون قبل السبب وأثناءه وبعده، فلقد كان رسول الله ﷺ، يتوكل عند الخروج من البيت للاكتساب وغيره.

وبذلك يتضح أن التوكل أعم وأشمل من التفويض(١٠٤)، والله أعلم.

ثالثاً: موضع التفويض

يوجد ثلاثة مواضع تواجه المفوّض في حياته وهي كالتالي:

١- موضع يعلم الإنسان يقيناً أنه فساد وباطل بدون شك، كالكفر، والبدعة، والمعصية، فلا سبيل إلى التفويض في ذلك.

٢- موضع واضح وضوح الشمس أنه صلاح وخير كالجنة، والإيمان، والإحسان وغير ذلك، فهذه الأمور لا موضع للتفويض فيها.

٣- موضع لا يعلم الإنسان يقيناً أنَّ له فيه خيراً وصلاحاً أو شراً وفساداً فهذا يكون موضع التفويض كمن أراد أن يحج نفلاً وقد سمع في مكة بعض الأمراض فهذا مكان التفويض على طلب تيسيره من الله، إن كان فيه الخير والنفع وهذا على سبيل المثال لا الحصر(١٠٥).

---

(١٠٢) غافر: ٤٤.

(١٠٣) أخرجه ابن ماجه، باب: ١٨، ص ١٢٧٨، حديث رقم (٣٨٨٥).

(١٠٤) انظر: مدارج السالكين ٢/١٣٨.

(١٠٥) انظر: منهاج العابدين ص١٠١.

الفصل الثالث: منزلة التوكل والمتوكلين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : اقتران التوكل بالقيم الروحية والمثل العليا.

المبحث الثاني : آثار التوكل في الدنيا والآخرة.

المبحث الأول: اقتران التوكل بالقيم الروحية والمثل العليا

إن القرآن الكريم ربط بين التوكل على الله وبين قيم الإسلام العليا ومثله وأخلاقه النبيلة، وهذا الربط يعتبر أداة من أدوات القرآن الكريم الرائعة في توضيح المعاني وتسهيلها على الناس وتثبيتها في نفوسهم ؛ وذلك لأنه قرن التوكل بالمعاني الروحية الآتية:

١– الإيمان

جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَا ﴾(١٠٦).

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾(١٠٧).

وجاء حكاية على لسان موسى ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴾(١٠٨).

جاء هذا الربط بين الإيمان والتوكل ليعطي دليلاً على أن التوكل على الله لا يمكن فصله عن الإيمان بل هو بالنسبة للإيمان كالروح بالنسبة للجسد، مما يدل على أهمية التوكل في حياة المسلمين (١٠٩).

٢– بأسماء الله الحسنى

لقد ربط القرآن الكريم بين التوكل على الله وبين أسماء الله الحسنى في آيات كثيرة، مما يبين لنا أهمية ومكانة التوكل، لذا فسره بعض الأئمة " بأن التوكل يعتبر هو المعرفة بالله لتعلقه بأسماء الله الحسنى وبقدر معرفة العبد لله يصح له مقام التوكل فكلما كان بالله أعرف كان توكله عليه أقوى " (١١٠).

وجاء التوكل مرتبطاً بأسماء الله في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١١١).

---

(١٠٦) الملك: ٢٩.

(١٠٧) التغابن: ١٣.

(١٠٨) يونس: ٨٤.

(١٠٩) انظر: تفسير محاسن التأويل، ج: ٩، ص٧١، وأيضاً انظر تفسير روح المعاني، ج:١١، ص ١٧٠.

(١١٠) مدارج السالكين ١٢٥/٢.

(١١١) الأنفال: ٤٩.

وجاء التوكل أيضاً مرتبطاً باسمه تبارك وتعالى : " الوكيل " :

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾(١١٢).

كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾(١١٣). وهو القيم بأرزاق العباد وحقيقته أنه سبحانه يستقل بالأمر الموكول إليه فهو الكافي لمن توكل عليه وصدق في توكله (١١٤).

٣- اقترانه بالعبادة

لقد جاء التوكل مقروناً بالعبادة في آيات منها قوله تعالى : ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ ﴾(١١٥).

التوكل بدون العبادة لا يجدي نفعاً ويكون من التمني الكاذب، والعبادة ذاتها لا تكمل إلا بالتوكل ؛ لأن به يكمل التوحيد والإخلاص لله (١١٦).

وقال تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ (١١٧)، حيث إنها تربط بين العبادة والتوكل، إذ الاستعانة هي عين التوكل الذي هو ثمرة التوحيد، واختصاص الله بالعبادة دون شريك له في الملك والتشريع(١١٨).

٤- بالتقوى

مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾(١١٩).

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾(١٢٠).

٥- بالصبر

جُمع بين الصبر والتوكل في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١٢١).

---

(١١٢) النساء: ١٣٢.

(١١٣) آل عمران: ١٧٣.

(١١٤) انظر: تفسير روح المعاني، ج: ٥، ص ١٤٢.

(١١٥) هود: ١٢٣.

(١١٦) انظر: تفسير المراغي، ج: ١٢، ص١٠١.

(١١٧) الفاتحة: ٥.

(١١٨) انظر: تفسير ابن كثير، مجلد: ٢، ص٤٢٨.

(١١٩) المائدة: ١١.

(١٢٠) الطلاق: ٢، ٣.

(١٢١) العنكبوت: ٥٩.

٦- بالعزيمة

مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(١٢٢).

ثمرة الآية وجوب التمسك بمكارم الأخلاق وخصوصاً لمن يدعو إلى الله تعالى ويأمر بالمعروف(١٢٣).

٧- بالعمل الصالح

في قوله تعالى حكاية على لسان شعيب - عليه السلام - : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(١٢٤).

لا ريب أن إصلاح المجتمع بالعمل الصالح لا يتحقق إلا بالتوكل على الله.

٨- بالحكم

في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(١٢٥)

٩- بالجهاد

جُمع بين التوكل والجهاد في قوله تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(١٢٦).

وقوله تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(١٢٧).

المبحث الثاني: آثار التوكل في الدنيا والآخرة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار التوكل في الدنيا.

المطلب الثاني: آثار التوكل في الآخرة.

---

(١٢٢) آل عمران: ١٥٩.

(١٢٣) انظر: محاسن التأويل، ج: ٤، ص ١٠٢٣.

(١٢٤) هود: ٨٨.

(١٢٥) يوسف: ٦٧.

(١٢٦) آل عمران: ١٢٢.

(١٢٧) آل عمران: ١٦٠.

المطلب الأول: آثار التوكل في الدنيا

أولاً: على الفرد: له آثار إيجابية بالنسبة للفرد في بناء شخصيته المتوازنة خلقاً وديناً ، وهذه الآثار هي كالآتي :

١- إحياء القلب: من آثار التوكل على الله هو إحياء قلب المتوكل ، وتوجيهه نحو فعل ما فيه الخير، وترك ما فيه الشر .

قال تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾(١٢٨).

٢- الاطمئنان النفسي: التوكل على الله يملأ النفس المؤمنة طمأنينة وسكينة ، وإذا اطمأن قلب المؤمن وسكنت نفسه ، فلا يتحسر على الماضي باكياً ، ولا يلقى الحاضر بجزع ، ولا يخاف المستقبل ؛ لأنه أخذ بالأسباب وتوكل على الله بعد أن عمل جهده.

وقد حدثنا القرآن الكريم عن قصة أم مؤمنة أوحى الله إليها.

قال تعالى : ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾(١٢٩).

٣- القوة والعزيمة: التوكل يبعث في نفس المؤمن القوة والعزيمة والثبات.

قال تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾(١٣٠).

وبهذا التصور الاعتقادي لحقيقة التوكل ، يستطيع المتوكل على الله أن يقف أمام أعتى الناس جبروتاً.

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾(١٣١).

٤- الشجاعة والإقدام: إن التوكل الصادق يبعث في النفس المؤمنة روح الشجاعة والإقدام ، وعدم الخوف من الموت والرغبة في الاستشهاد من أجل إعلاء كلمة الإسلام ، فالحياة بيد الله يمنحها لمن يشاء من عباده ، لذلك لا يخاف المتوكل من البشر ، لأنه يأوي إلى ركن شديد ، ولأنه يتمسك بحبل الله المتين الذي لا يلين وبالتالي يندفع للإقدام والمجاهدة بقوة تعاند العوائق وتقتحم العقبات (١٣٢).

ولنا في هود – عليه السلام – ، وبمن آمن معه أسوة حسنة ؛ لأنهم توكلوا على الله العزيز الحكيم .

---

(١٢٨) طه: ٤٦.

(١٢٩) القصص: ٧.

(١٣٠) التوبة: ٥١.

(١٣١) آل عمران: ١٥٩.

(١٣٢) انظر: الإيمان وأثره في حياة الإنسان ص٤٠- ٤٥.

قال تعالى: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾(١٣٣).

٥- التواضع: إن التوكل على الله يبعث في النفس الشجاعة والإقدام، فهو أيضاً يبعث على التواضع والرحمة بخفض الجناح للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾(١٣٤).

٦- الحماية من الشيطان: التوكل على الله يمنح المؤمن من القوة ما يستطيع به أن يقهر سلطان الشيطان.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا﴾(١٣٥).

قال بعض المفسرين (١٣٦): إن نفي سلطان الشيطان مشروط بأمرين هما:

أ - الإيمان. ب- التوكل.

٧- الاطمئنان على الرزق: قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾(١٣٧).

ثانياً: على المجتمع: للتوكل آثارٌ في حياة المجتمع المسلم، ومن هذه الآثار:

١- محبة الله لهم: إن الله سبحانه وتعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين، كما أنه يحب المتوكلين، وهذه الخصال يمتاز بها أبناء المجتمع المسلم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾(١٣٨).

٢- كفاية الله وعنايته بهم: قال بعض السلف (١٣٩): "جعل الله لكل عمل جزاء من جنسه وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده. فقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(١٤٠).

---

(١٣٣) هود: ٥٥، ٥٦.

(١٣٤) آل عمران: ١٥٩.

(١٣٥) الإسراء: ٦٥.

(١٣٦) انظر: تفسير التحرير والتنوير ٢٧٨/١٤.

(١٣٧) هود: ٦.

(١٣٨) آل عمران: ١٥٩.

(١٣٩) زاد المسير ٢٩١/٨، وتفسير الرازي ٣٤/٣.

(١٤٠) الطلاق: ٣.

٣- ضمان النصرة والعون لهم: قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١٤١).

فنوح- عليه السلام- أنجاه الله ومن معه في الفلك، وأغرق القوم الكافرين بالطوفان.

ولقد انتصر المؤمنون في بدر مع أنهم كانوا قلة في العدد والعدة.

قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾(١٤٢).

ويوم حنين اغتر المؤمنون بكثرتهم مما أدى إلى نقص في توكلهم على الله، فأذاقهم شيئاً من الهزيمة.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾(١٤٣).

المطلب الثاني: آثار التوكل في الآخرة

إذا ظهرت آثار التوكل على الفرد والمجتمع فإن الله سيرضى عنه، ومن رضى الله عنه وأحبه فإنه يفوز بدخول الجنة بإذن الله بغير حساب، وذلك جزاء المتوكلين العاملين بمقتضى الإيمان في هذه الحياة.

وأعدَّ الله للمتوكلين الصابرين الذين يعملون الصالحات غرفاً تجري من تحتها الأنهار.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ (٥٨) ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(١٤٤).

وأن ما أعده الله في الآخرة للمؤمنين المتوكلين عليه فهو خير وأبقى.

قال تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(١٤٥).

وجاء قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ (١٧٣) فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾(١٤٦).

---

(١٤١) الروم: ٤٧.

(١٤٢) الأنفال: ٩.

(١٤٣) التوبة: ٢٥.

(١٤٤) العنكبوت: ٥٨، ٥٩.

(١٤٥) الشورى: ٣٦.

(١٤٦) آل عمران: ١٧٣، ١٧٤.

الخاتمة

إن القرآن الكريم اعتنى بـ " فضيلة التوكل " اعتناءً كبيراً تبين من خلال ورود هذه الفضيلة في آيات كثيرة من سور القرآن الكريم.

وأيضاً ركّزت السنة النبوية المطهرة على التحلي بـ " فضيلة التوكل " في الكثير من الأحاديث الشريفة ، وأمر ﷺ بالتزامها وبين مكانتها ، وأوضح منزلة المتوكلين في الدنيا والآخرة.

تلك الفضيلة التي ظهرت نتائجها الطيبة ، ومن هذه النتائج ما هو عام مستخلص من مجمل البحث ، وما هو خاص مستنبط من خلال كل فصل لوحده ، وهي كالتالي :

النتائج العامة

١- أن التوكل على الله يكسب صاحبه شخصية قوية العزيمة والإرادة ، لا تعرف الجبن والخور ، والدعة ، والحيرة ، والتردد ، فيقدم المتوكل معتمداً على الله في سائر أعماله يبتغي وجه الله وتحقيق مرضاته ، فهو لا يحزن ولا يغتم لما أصابه ، ولا يؤلمه التفكير في المستقبل ، وبذلك يكون المتوكل على الله أسعد الناس حالاً ، وأصلحهم بالاً ، وأشجعهم عقلاً وقلباً.

٢- إذا تمكنت فضيلة التوكل من نفوس أبناء الأمة ، تبعتها سائر الفضائل الأخرى وذلك لارتباط هذه الفضيلة بسائر الفضائل الإسلامية كالصبر ، والحلم ، والشجاعة ، والعفو وغير ذلك من الفضائل الخلقية ومما لا شك فيه ، أنه حينما كانت الأمة الإسلامية تمتاز بصفة التوكل على الله ، وظهرت هذه الفضيلة في حياة المسلمين أصبحوا أكثر الناس شجاعةً ، وكرماً ، وصبراً ، وحلماً ، ومعرفةً ، وعلماً ، فتمكنوا من سيادة العالم وقيادته مدة من الزمن تقرب من ألف عام.

٣- حينما يتوكل الإنسان على الله حق التوكل ، فإن الله سبحانه وتعالى يبارك لهذا الإنسان في عمله ، فيجني الثمرة ويشعر بحلاوتها لوجود بركة التوكل على الله ، قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾(١٤٧).

٤- إذا انحرفت الأمة الإسلامية عن مفهوم التوكل على الله ، وأصبحت تعتمد على الشرق أو الغرب ، حتماً سيصيبها التخلف في شتى ميادين الحياة ، والتاريخ شاهد على ذلك.

ولنعلم جيداً أن السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يوم أن كانوا على الله متوكلين ولمنهجه مطبقين سادوا العالم وساسوه بسياسة الإسلام ، وأنه في الوقت الحاضر ، لا يمكن أن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، فإذا اعتصمنا بالله وتوكلنا عليه واقتفينا أثر الرسول ﷺ سننهض بعون الله ، كما نهض السلف الصالح ، وإن وعد الله لصادق بنصر المتوكلين.

---

(١٤٧) الطلاق: ٣.

قال تعالى : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(١٤٨).

النتائج الخاصة

١- أن " فضيلة التوكل " فضيلة إسلامية فرضها الله على عباده ، لما لها من الأهمية بين سائر الفضائل الأخرى ؛ لكي تصلح حياتهم وتطمئن نفوسهم لقدر الله وقضائه.

قال تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١٤٩).

٢- ارتباط " فضيلة التوكل " بعقيدة الإيمان فكلما كان الإنسان في توكله على الله قوياً ، كانت عقيدته قوية وسليمة من الشرك.

قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾(١٥٠).

٣- أظهر البحث ، أن التوكل يزيد وينقص عند الأشخاص ، كما أن الإيمان يزيد وينقص.

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(١٥١).

٤- اتضحت الفروق الشاسعة بين التوكل والتواكل بعد تعريف كل منهما ، وتوضيح حكمهما ، وَحَذَّرَ من الانزلاق في التواكل ؛ لأن فيه إهداراً لطاقات الإنسان ومقدراته وتعطيلاً لحياة المجتمع بأسره.

٥- أثبت البحث أن التوكل يُمَكِّنُ عقيدة الإسلام في النفوس ويعمل على تثبيتها ، وذلك عن طريق توضيح المعرفة بالله وأسمائه وصفاته ، والحث على التوكل على الله في سائر الأعمال ، لما للمتوكلين من الأجر العظيم في الدنيا والآخرة.

٦- يشجع الإنسان ويحثه على حب العمل والتحرك لكسب الرزق الحلال والعمل على بناء المجتمع ، وإعمار الأرض بتحقيق الخلافة الإسلامية فيها.

٧- كشف البحث أن التوكل يحث على العمل ويحارب التسول ، والبطالة ، والقعود عن العمل.

٨- جاء " التوكل " مرتبطاً بالقيم الروحية والمثل العليا في مواطن عدة من سور القرآن الكريم ، لكسب هذه الفضيلة أهمية بين سائر الأخلاق الإسلامية.

---

(١٤٨) آل عمران: ١٦٠.

(١٤٩) المائدة: ٢٣.

(١٥٠) الأنعام: ١٠٢.

(١٥١) الأنفال: ٢.

٩- توصل البحث إلى أن التوكل له الأثر الكبير على الفرد في إصلاح نفسه، وإحياء قلبه، وجعله عنصراً إيجابياً في المجتمع.

١٠- للجهاد في سبيل الله العلاقة القوية بفضيلة التوكل على الله.

١١- التوكل صفة أساسية لجميع الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - أجمعين، وهم الذين ينبغي أن يُتخذوا القدوة والأسوة الحسنة في توكلهم على الله وفي سائر صفاتهم الحميدة.

١٢- كشف البحث عن بعض الشبهات الباطلة التي أُلصقت بالتوكل ووضح زيفها، وعمل على تعريتها وإبطالها بالحجة والبيان المستند إلى كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وأنها ليست من التوكل في شيء.

المراجع

[١] *أدب النفوس:* لأبي عبد الله حارث بن أسد المحاسبي، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط ١٤٠٤هـ، دار الجيل، بيروت.

[٢] *الأربعون الصغرى:* للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد نور المراغي، ط (لا يوجد)، إحياء التراث الإسلامي، الدوحة، قطر.

[٣] *الأعلام:* لخير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة والسادسة.

[٤] *أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المسمى بتفسير البيضاوي:* تأليف الإمام ناصر الدين أبي سعيد عبدالله الشيرازي البيضاوي، (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م)، دار الفكر.

[٥] *الإيمان وأثره في حياة الإنسان:* للدكتور/ حسن الترابي، ط: ٢، منشورات العصر الحديث.

[٦] *تفسير التحرير والتنوير:* تأليف الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور، طبعة الدار التونسية للنشر سنة ١٩٨٤م، تونس.

[٧] *تفسير القاسمي، المسمى محاسن التأويل:* تأليف: محمد جمال الدين القاسمي، ط١ (١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م)، دار احياء الكتب العربية.

[٨] *تفسير القرآن الحكيم، الشهير باسم" تفسير المنار" :* للشيخ محمد عبده، تأليف: السيد محمد رشيد رضا، الطبعة الرابعة، مكتبة القاهرة.

[٩] *تفسير القرآن العظيم:* للإمام إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ط (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م)، طبعة دار المعرفة، بيروت.

[١٠] *تفسير المراغى:* تأليف: أحمد مصطفى المراغى، ط: ٣ (١٣٩٢هـ- ١٩٧٤م).

[١١] *التفسير الوسيط للقرآن الكريم:* تأليف: الدكتور/ محمد سيد طنطاوي، ط (١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م)، مطبعة السعادة.

[١٢] *جامع البيان في تأويل آي القرآن، المسمى تفسير الطبري:* تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط ١ (١٤٢٢هـ، طبعة القاهرة، تحقيق د. عبد الله التركي.

[١٣] *جامع العلوم والحكم:* تأليف: ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت.

[١٤] *الجامع لأحكام القرآن، المسمى بتفسير القرطبي:* لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.

[١٥] *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:* للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

[١٦] *الرزق الحلال وحقيقة التوكل على الله:* للحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، القاهرة.

[١٧] *الروح:* لشمس الدين أبي عبدالله بن قيم الجوزية، ط: ١ (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

[١٨] *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى:* لشهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، ط ٣ (١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م)، طبعة دار الفكر، بيروت.

[١٩] *زاد المسير في علم التفسير:* تأليف: الإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن الجوزي القرشي البغدادي ط٣ (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م)، المكتب الإسلامي.

[٢٠] *سنن ابن ماجه:* للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، ط (لايوجد)، دار إحياء التراث العربي.

[٢١] *سنن الترمذي:* للإمام الحافظ، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حققه وصححه: عبدالرحمن محمد عثمان، ط: ٢ (١٤٠٢هـ- ١٩٨٣م)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

[٢٢] *سير أعلام النبلاء:* للإمام أبي عبدالله شمس الدين محمد الذهبي، ط: ١ (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

[٢٣] *شذرات الذهب في أخبار من ذهب:* لأبي الفلاح عبدالرحمن عبدالحي بن العماد الحنبلي، ط: (لا يوجد)، المكتب التجاري، بيروت.

[٢٤] *صحيح البخاري:* لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ط (١٩٧٩م)، المكتبة الإسلامية استانبول، تركيا.

[٢٥] *صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري:* حققه ورقمه: محمد فؤاد عبدالباقي ط (١٣٧٤هـ- ١٩٥٣م)، دار إحياء التراث العربي.

[٢٦] *طبقات الصوفية:* لأبي عبدالرحمن محمد بن الحسين بن محمد السلمي، تحقيق: نور الدين نثربيه، ط: ١ (١٣٧٢هـ- ١٩٥٣م)، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

[٢٧] *عقيدة المؤمن:* لأبي بكر جابر الجزائري، ط: ٤ (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م)، دار الشروق، جدة.

[٢٨] *فتح الباري:* للإمام ابن حجر العسقلاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

[٢٩] *فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير:* تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، طبعة دار المعرفة، بيروت.

[٣٠] *فتح المجيد شرح كتاب التوحيد:* للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط: (لا يوجد)، المكتبة الثقافية، بيروت.

[٣١] *الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب:* للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن ضياء الدين عمر، المشتهر بخطيب الرى طبعة دار الفكر.

[٣٢] *الفوائد لابن قيم الجوزية:* تخريج وحواشي أحمد راتب عرموش، ط (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م)، دار النفائس.

[٣٣] *قوت القلوب في معاملة المحبوب:* لأبي طالب المكي، ط (لا يوجد)، مصطفى البابي الحلبي.

[٣٤] *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:* تأليف: أبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، ط: دار المعرفة، بيروت.

[٣٥] *لسان العرب:* لابن منظور، ط: (لا يوجد)، دار المعارف.

[٣٦] *مختصر من تفسير الطبري:* تأليف محمد بن حماد التجيبي، تحقيق محمد حسن الزفيتي، دار القلم، بيروت، ط الأولى.

[٣٧] *مختصر منهاج القاصدين:* للإمام أحمد بن قدامة المقدسي، خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: عبدالله الليثي الأنصاري، ط (١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م)، دار الفكر، بيروت.

[٣٨] *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:* لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط (١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م) السنة المحمدية، القاهرة.

[٣٩] *مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال:* ط : (لا يوجد)، دار صادر، بيروت.

[٤٠] *المعجم الوسيط:* تأليف: لجنة مكونة من أربع مؤلفين - مجمع اللغة العربية - ، إحياء التراث العربي، قطر.

[٤١] معجم *مقاييس اللغة:* لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ضبط: عبدالسلام هارون، ط: (لا يوجد)، دار الكتب العلمية، إيران قم.

[٤٢] *منار الإسلام:* العدد التاسع، السنة التاسعة، رمضان (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م)، شهر يونيه.

[٤٣] *منهاج العابدين ومعه الكشف والتبيين وبداية الهداية:* لأبي حامد الغزالي، حققها وعلق عليها: الشيخ محمد محمد جابر، ط: (لا يوجد).

[٤٤] *نزهة المجالس ومنتخب النفائس:* للشيخ عبدالرحمن الصفوي، ط: (لا يوجد)، المكتبة الشعبية، بيروت.

[٤٥] *وفيات الأعيان:* لأبي العباس أحمد بن خلكان، حققه: د/ إحسان عباس، دار صادر بيروت عام ١٣٩٨هـ.

Dependence on Allah in the Light of Quran

Sulaiman Bin Hamad Al-Saqri
Assistant professor at quranic studies department,
College of Shareaa and religion principles, AL-Qassim University

(Received 21/1/1429H.; accepted for publication 15/4/1429H.)

Abstract. The research formed of introduction clarify the topic's importance , it treats a problem threat society and related to doctrine.

The causes to chose this topic is:

1- the spread of mistaken concepts about trust in god.
2- quran attention to this and mentioned more than seventy place.

I clarified my methodology in research which is formed of introduction clarifies the topic importance , the cause behind choosing it and my scientific method , and a plan show that I divided my research to five chapters , conclusion and reference.

First chapter:I mentioned the trust in god reality through four themes.

First themes: the meaning of trust literally and ideology , the trust literally derived from depend , ideology: there are many definitions , the most important is: saying of ibn ragab: is the trust of dependence of heart on Allah in calling for interests and red of harms in matters of life and hereafter.

Second theme: show principles of dependence , divided into three topics.

The first topic: virtue of independence in the quran and sunnah.

The second topic: principles of independence , it builds on three principles which is monotheism , seeking support and worship.

The third topic: the difference between independence and submit , I mentioned that submit is the dependence on creature , I clarified that independence increase and decrease , and I mentioned the factors behind this.

The fourth topic: the rule of independence , it is obligatory , and dependence on creatures is prohibited the second chapter: independence prerequisites , two researches

The first: take causes into mind , it is of independence elements.

The second: delegacy is the soul of independence , the difference between independence and delegacy.

The third chapter: the place of independents. in three researches.

The first: association of independence with virtues and high morals such as belief , the most gracious names of Allah , worship and piety , patience , good work and strive.

The second: results of independence in life and hereafter.

1- in life , give determination , strength , humbleness and vivid of heart and get over Satan.
2- in hereafter , inter paradise.

Then the conclusion , I clarified the results of research and indexes of topics references.